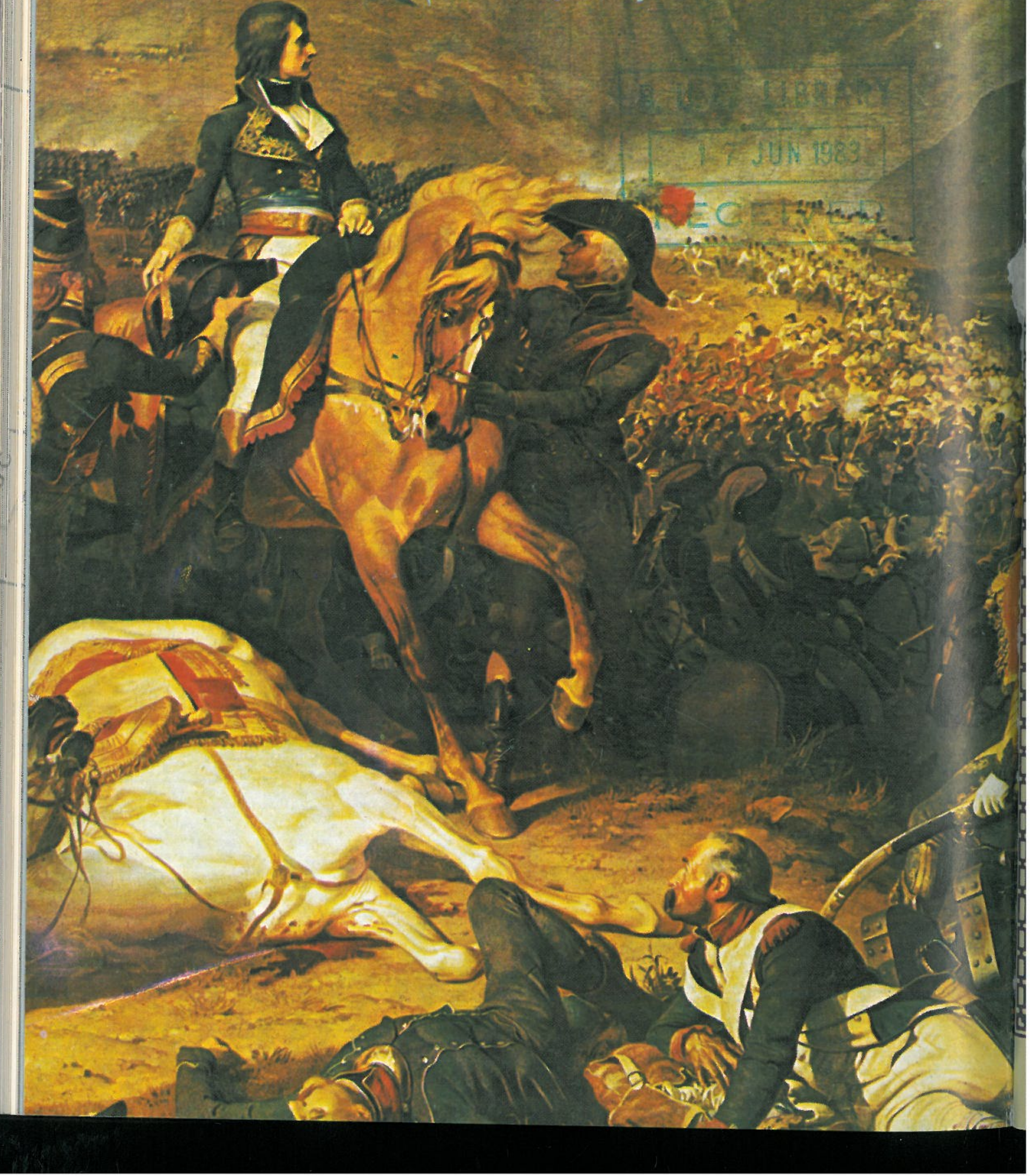
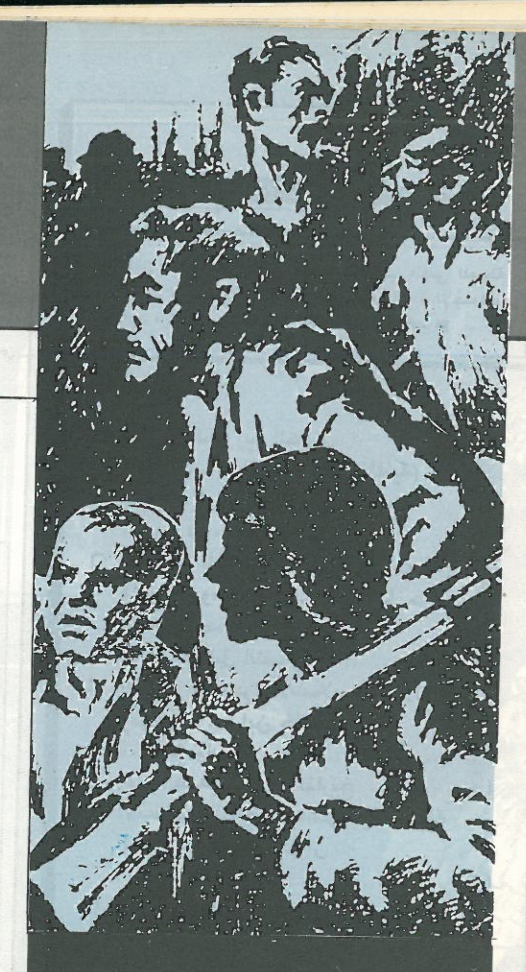
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الخامسة . العدد ٥٦ . حزيران (يونيو) ١٩٨٣م . الموافق رمضان ١٤٠٣هـ .



الثورة السوريّة الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧



تحدّث الدكتور رباط في القسم الأول من دراسته (المنشور في العدد الماضي) عن اندلاع الثورة السورية وانتشارها وانتقال مركز قيادتها من جبل الدروز إلى غوطة دمشق. ويتحدث الآن عن القمع الوحشي الذي مارسته قوات الانتداب ضد مدينة حماة، والاشتباكات الدامية التي جرت في الغوطة، والقصف الهمجي الذي تعرّضت له أحياء دمشق وهز مشاعر الناس، داخل الوطن العربي والإسلامي وخارجه.

الحلقة الثانية

د. ادمون ربّاط

تعريب: د. محمّد المجذوب

ثالثاً ــ القمع في حماة

وهكذا وصلنا إلى الأيام الأولى من شهر تشرين الأول (اكتوبر)، فبلغ غليان الخواطر أوجه، وامتدت الثورة باتجاه الشمال، كبقعة زيت زاحفة. وبعد عدة أيام، تفجر في مدينة حماة هياج شعبي «أثاره نقيب في الفرقة الأجنبية السورية»، هو فوزي القاووقجي[٣١].

وفي الساعة التاسعة من مساء ٤ تشرين الأول (اكتوبر)، انقض فوزي على المدينة، وكان على رأس عدد من رجاله ومن البدو الذين كانوا مخيمين في الضواحي منذ مدة، وحاول احتلال السراي حيث كان يقوم مستودع للأسلحة والذخائر. وكان النقيب يأمل في جر كل أفراد سريته إلى مسيرته، ولكنه اصطدم بقسم من رجاله كان بامرة ملازمين فرنسيين وظل، طوعا أو كرها، على ولائه. وبعد معركة حامية دامت ساعتين، احتل فوزي السراي واستولى على الأسلحة. وتوجه الثوار، بعد ذلك، إلى الثكنتين اللتين كانت تدافع عنهما حامية سورية بقيت خاضعة لامرة ضباط فرنسيين. واستغرقت المعركة الليل بكامله. وعند الفجر، دُكّت الأبواب، غير أن الحريق، الذي شب، كما يبدو، بفعل انفجار القنابل اليدوية التي ألقتها الحامية المهزومة، كان قد التهم المباني المحتلة وامتد إلى الجوار[٣٢]. وتحولت السراي، مع مبنى البلدية، وبنايات أخرى، وسوق بكامله، إلى ركام.

وفي اليوم التالي، وصلت سريتان من السنغاليين وانقضتا على المدينة بمساعدة الطائرات ودبابات الاقتحام والقذائف، فسمح ذلك باعادة النظام إلى نصابه.

ونهار الثلاثاء في ٦ تشرين الأول (اكتوبر)، أعلن بيان صادر عن القيادة العسكرية الأحكام العرفية، ومنع التجول في المدينة من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحا، كما حظر الاجتماعات العامة، وأخطر السكان بأن بوسع الجنود إطلاق النار على كل شخص يخالف هذه الأوامر.

وتضاعفت الاعتقالات في الأيام التالية، وظلت، بلا عقوبة، انتهاكات المنازل والاعتداءات على الأشخاص والأملاك، والتي ارتكبت غالبا في ظروف غير انسانية. ونهار الأربعاء في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر)، فرضت القيادة غرامة جماعية على المدينة، فكان على السكان، خلال فترة ٢٤ ساعة، تسليم مئة بندقية مع كمية محددة من الذخائر، وإلا تعرضوا للقصف. وعندما استحال على المدينة الحصول على الكمية المطلوبة، منحها المستشار الفرنسي مهلة جديدة، ولكنه ضاعف مقدار الغرامة. وبما أن الشرط لم ينفذ في اليوم الموعود، فقد أمر بقصف المدينة، فهدمت أحياء بكاملها، وسقط ضحية القصف عدد غير محدود من السكان، من كلا الجنسين ومن كل الأعمار[٣٣]. ولم يكن قمع حماة إلا مقدمة للأعمال القمعية التي ضرجت (والكلمة ليست شديدة جدا) سوريا بالدماء، خلال أشهر طويلة.

وهناك وثيقة تسرد، بموضوعية، مراحل القمع الذي أعقب قضية ٤ تشرين الأول (اكتوبر). وهي تقرير موجه إلى المفوض السامي من قبل متصرف (محافظ) حماة نفسه، فيضي بك الأتاسي. وقد ورد فيه ما يلي:

«... أعتبر أن من واجبي أن أطلع سعادتكم على الأعمال الوحشية التي ارتكبت على أثر أحداث ٤ و ٥ تشرين الأول (أكتوبر). وأعتقد أن هذا الواجب يقع على كاهلي لسببين اثنين: أولا، لاعتباري مواطنا وموظفا سوريا، ثم لاعتباري **مؤيدا مؤمنا بالانتداب**، وحريصا على سمعة فرنسا في المشرق...

«... إن الأخطاء المتراكمة، والفظائع المقترفة، قد أدمت، بلا شك، كل القلوب في حماة، وهي فظائع لا يبررها شيء وتدينها قوانين البلاد وقوانين فرنسا.

....

«... وعندما أعيد الهدوء في اليوم التالي (للتظاهرة)، بدأت السلطة الفرنسية في حماة بإلقاء القبض على الناس واعتقالهم، دون أدنى اهتمام برأي السلطات المحلية. ولم يميز بين الوجهاء والمثقفين ولصوص حماة والموظفين، فاعتقلوا دون أسباب وجيهة في أغلب الأحيان. ولولا الخوف من أن يصبح هذا العرض طويلا جدا، لقدمت إلى سعادتكم تحليلا للدوافع التي بررت هذه الاعتقالات وكانت أحياناً قليلة الرصانة والنزاهة.

«... وباختصار، فقد فرضت على المساجين، منذ ان جرت الاعتقالات، أوضاع لا أستطيع الامتناع عن وصفها بالمخزية: ان هؤلاء المساجين الذين زج بهم في أمكنة ضيقة قد تعرضوا لأسوأ أعمال التعذيب وأسوأ أنواع التحقيقات التعسفية. وفرضت عليهم كل ضروب السخرة... وكانوا يعرون أحيانا بشكل كامل ليضربوا. وكان الضرب بالعصا يستمر إلى أن يغمى عليهم. ومن بين الذين تعرضوا لهذه المعاملة، أذكر لكم على

وجه الخصوص: شمسي بك العظم... وأبو الهدى اليافي... وقد أخلي سبيل الاثنين الآن... وكان هذا الأخير قد طلب تزويده بصحيفة، فوصل الأمر إلى الملازم (...)، وهو ضابط استخبارات بالنيابة، فأمر باحضاره وتعريته وضربه دون شفقة. وقال له: «أتريد أن تطلع على مجرى أحداث دمشق؟ حسنا! إعلم أننا سنهدم كل المساجد، وأنه لن يبقى في سوريا إلا الراية الفرنسية...». فهل هناك شريعة في العالم تجيز إنزال أعمال وحشية مماثلة وإهانات مماثلة بمتهم ما؟ وهل سينسى سكان حماة هذه الفظائع التي شهدوها؟

«وبحجة... أن رصاصة أطلقت، بعد التظاهرة بعدة أيام، على الثكنة، من أعلى المئذنة في أحد المساجد، فرض على المدينة تسليم عدد معين من البنادق في مهلة محددة. وعند انتهاء المهلة كان عدد البنادق غير كامل. وكانت النتيجة: قصف المدينة بالمدفعية والطيران...

«وهذا، يا صاحب السعادة، جزء من الوقائع التي جرت في حماة. وغرضي هو اطلاعكم على مجرى الأحداث»[٣٤].

وعلى الرغم من تأكيدات وجهاء مدينة حماة، التي كانت تهدف إلى استدرار شفقة المنتصر، فليس بالامكان اعتبار التظاهرة عملا قام به بعض البدو بقيادة فوزي القاووقجي. «إذا كان النقيب قد أحضر عددا منهم... فانهم كانوا من القلة بحيث لم يكن من الصعب على قبضة من الجنود والدرك ردهم فورا... لقد برهنت حماة دوما على كراهيتها الصارخة للانتداب... وكان من السهل إثارة تظاهرة ما في مدينة كهذه. وكان بالامكان أن تترتب نتائج خطيرة على نجاح التظاهرة وسيطرة الثورة، ولو لعدة أيام، على حماة والاستيلاء على مستودع الذخيرة فيها... لقد سلم النظام في هذه المنطقة بفضل إخفاق الحركة والتدابير القمعية التي أعقبته...»[٣٥].

وهكذا تفجرت الثورة، في حماة أيضاً، كما في كل مكان، بصورة عفوية ودون سابق تصميم.

وبعد قمع حماة، تمركز الثوار في الضواحي وحاولوا التقدم نحو الشمال بهدف توسيع رقعة الثورة حتى الوصول إلى الأماكن المقفرة لمنطقة حلب. وبتحريض من القاووقجي، هاجمت قبيلة الموالي كوكب والحمدانية، وهما محطتان على طريق سكة حديد رياق ــ حلب، وحاصرت، لمدة ساعات، معرة النعمان. ولكن الثوار ردوا عنها، كما ردوا عن إدلب، القصبة الكبيرة التي تقع على بعد ٤٠ كلم من حلب. وساعدت أوضاع الأرض، المسطحة والخالية من الملاجىء، الطيران على إنهاك الثوار وإجبارهم على الانكفاء بسرعة إلى الجنوب، وإكراه البدو على الارتداد نحو الشرق.

ولم يبق في المنطقة إلا عدة مجموعات مسلحة فقط، عدد المغامرين فيها يفوق عدد الثائرين، اعتادت، منذ عام ١٩٢٠، على التجمع في الأراضي التركية، على بعد كيلومترات من حلب، لابتزاز أموال المسافرين والتفرق عند ظهور أصغر دورية. إن حالة من اختلال الأمن النسبي كانت دوما تسود المنطقة وتسبب، منذ سنوات، لفلاحي الأرض الآمنين المقيمين حول المدينة قلقا مستمرا. وكان من المنتظر أن تؤدي جهود الثوار، عاجلا أم آجلا، ورغم هذا الاخفاق الأول، إلى إدخال هذه العناصر غير النظامية في نطاق نشاطها.

رابعاً ــ ثوار الغوطة

وخلال هذه الفترة، اشتد الغليان حول دمشق. وفي الغوطة، كانت الجماعات المسلحة، المكونة محليا والمتضخمة باستمرار بانضمام المجندين الجدد الوافدين من المدن إليها، تتصرف كأنها في مقاطعة محتلة، فتجوب الحدائق، وفي غياب الجند الفرنسيين تتحالف فيما بينها لتخضع لقيادة موحدة وتنشىء حكومة وطنية ثائرة. وأصبح سلطان الأطرش قائدها العسكري الأعلى، وتولى الدكتور شهبندر القيادة السياسية للحركة.

وغدت هذه الجماعات، يوما بعد يوم، اكثر عدائية. وباستثناء الجماعات التي كانت تضم دروز «الجبل» فقط، الهابطين إلى السهل، والتي كانت اكثر انتظاما، فان معظمها كان يختار، قادة وجندا، من بين صفوف الشعب البسيط. واحداها، وقد أصبحت اسطورية، كانت بقيادة حارس ليلي بسيط في دمشق، اسمه حسن خراط، لم يكن لديه، كمرتب يعيش به، إلا بضع ليرات بائسة.



ورقة الهوية المختصة بمنتسبي الجيش العربي

الصنف	خيال
الرتبة	
اسمه وشهرته	
اسم ابيه	عبد المجيد
ولايته	بيروت
محل ولادته	طرابلس الشام
تاريخ ولادته	
مذهبه	اسلام
جنسيته	عربي
من اي مدرسة تخرج	مدرسة الحربية في الاستانة
متأهل ام لا	متأهل
مقدار نفوس عائلته	
رقم سجله التركي	
رقم سجله العربي	٥٦ – ٦

□ فوزي القاووقجي، وهويته العسكرية.

وبعد صرفه من الخدمة بسبب تصرف لا نعلم مقدار تفاهته، سارع إلى الغوطة، على رأس بعض الأنصار الذين تكاثروا بسرعة.

وخلال العمليات العسكرية لشهر تشرين الأول (اكتوبر)، وإلى أن قصفت دمشق، فان اكثر المضايقات التي تعرضت لها السلطات كانت تأتي من جماعته. وحاولت يوما كتيبة درك، مكونة من ٦٢ عنصرا، تطويقها. فبعد جولة في القرى، وصلت الكتيبة في الليل، دون مضايقة، إلى ضاحية مليحة الغارقة في الحدائق الكثيفة. وغفا الرجال آمنين مطمئنين بعد أن أنهكهم السير لمدة ١٢ ساعة. وفي الليل أسرتهم جماعة خراط وهم في الفراش.

ويبدو أن هذه الحادثة الهزلية[٦٦] قد أقلقت السلطة العسكرية كثيرا، لاسيما وأن إشاعة انتشرت آنذاك مفادها أن جبل الدروز ترك لمصيره وجرد كليا من الجند الفرنسيين. لقد تجمع هؤلاء الجند، وكان عددهم غير كاف، حول دمشق، حيث كان كل شيء ينبىء بأحداث خطيرة، بهدف تطهير ضواحيها، إن كان ذلك ممكنا. وخلال الأشهر التالية، استخدم الجبل، بالفعل، بعد أن تخلص من هجمات الطوابير الفرنسية، كقاعدة عسكرية للثوار، وملجأ لهم عند الاخفاق، وخزان لا ينضب من المحاربين[٣٧].

وفي ١٢ تشرين الأول (اكتوبر)، غادر دمشق، بأبهة، طابور بقيادة النقيب مورو (Moreau) لمطاردة الجماعات المسلحة. وكان الطابور مكونا من عناصر هجينة يختلط فيها المشاة بالخيالة الفرنسيين. وكان يساند الطابور جراكسة وزهاء ١٢ دركيا سوريا.

وعلم، فيما بعد، أن هذه القوة خاضت، صباح ١٣ تشرين الأول (اكتوبر)، ضد حسن خراط، معركة حامية استمرت حتى مغيب الشمس. وفي اليوم التالي، أعلن بيان رسمي أن جماعة خراط أبيدت، تاركة فوق أرض المعركة زهاء مئة قتيل، وأنها لم تعد تضم إلا مئتي مناصر. وعاد الطابور منتصرا إلى دمشق، يتبعه رتل من الجمال على ظهرها ٢٤ جثة ملفوفة بسجاد مثقوب. وجاب بها الجركس، بوجوه تنضح بالنصر، شوارع المدينة لمدة طويلة. وحملت جمال أخرى غنائم وافرة، لوحظ بينها سجاد وأدوات فضية وأجهزة من



□ نسيب بك البكري: رشح لامارة سوريا سنة ١٩٢١ واحد زعماء الثورة السورية.

الحاكي (الفونوغراف). وسار في نهاية الموكب قطيع من الحيوانات والجياد والبقر. ولكي تدرك دمشق ما كان يتهددها، فقد توقف الموكب أمام دار البلدية وبقي معروضاً أمام أنظار الجمهور لمدة خمس ساعات متواصلة.

وأكد، فيما بعد، قرويون التجأوا إلى دمشق أن الجركس قاموا، في القرى التي دخلوها، ولاسيما قرى مليحة ودير مجدل ويسرين، بأعمال السلب والحرق والقتل على مشهد من الضباط الذين كانوا يقودونهم(٣٨).

وبعد عدة أيام، عرض وفد، مكون من وجهاء دمشقيين، كان بينهم الأميران سعيد ومحمد الجزائري، حفيدا البطل الجزائري عبد القادر، شكواه على بريفا ـ أوبووار (Privat-Aubouard)، مندوب المفوض السامي بالنيابة. ولكن هذا الموظف السامي أجابهم بأعصاب هادئة: «ذلك كان قرار رئيس دولتكم، صبحي بك بركات، وقد أخذه بموافقة وزرائه. وفيما يتعلق بنا فنحن من رأيه»(٣٩).

وشجع هذا الحديث، الذي تناقلته الألسن في كل مكان، أعمال القمع التي كانت تقوم بها «فرق مساعدة» تعمل بامرة ضباط فرنسيين. وعلم، بعد أيام، أن القرية الدرزية جرمانا قد نهبت ودمرت كالعديد من القرى الأخرى قبلها. وشوهدت في أسواق دمشق وبيروت غنائم الأيام الأخيرة معروضة للبيع بأبخس الأثمان(٤٠).

ويمكننا القول أن مثل هذه التجاوزات لم يرتكب إلا حينما دخل الجركس على الخط، ومعهم، بعدد أقل، المساعدون الأرمن(٤١). ولكن المسؤولين الحقيقيين هم هؤلاء الذين استغلوا همجيتهم الفطرية فسلحوهم وأطلقوهم ينهبون ويقتلون. ومهما يكن سبب هذا التصرف (النقص في الفرق النظامية أو الذعر العام)، فان استخدام مثل هؤلاء المرتزقة كان خطأ لا يغتفر. والأحداث التي ستجري في دمشق، ستكون، جزئيا، نتيجة السخط الذي سببته آثامهم التي أدت إلى إخلاء الغوطة من السكان والقت في أحضان الجماعات المسلحة أولئك الذين كانوا ضحاياها(٤٢).

خامساً ـ قصف دمشق

تواصلت الهجمات، لعدة أسابيع، على تخوم العاصمة. وبرهنت الغزوات التي بلغت الضواحي على إرادة الثوار الثابتة في اقتحامها. وكان من السهل عليهم، افراديا، التسلل اليها في وضح النهار، والانصراف إلى أعمالهم فيها، ثم العودة مساء إلى جماعاتهم المسلحة المناوشة... وكانت المدينة الكبرى التي يحرسها عدة مئات من الجنود ويقيم فيها شعب محموم، ولكنه وطني على الأخص، توحي، إلى أقل الناس فطنة، بوجود هياج غير عادي. وكانت الخواطر التي هزتها بشدة انتصارات الدروز واتساع العصيان المباغت، والتي بقيت دون قيادة منذ فرار أو اعتقال الوجهاء السياسيين الذين كانوا يشكلون الثقل في «حزب الشعب»... كانت هذه الخواطر ترتاع لأقل إنذار. وكان يسود، هنا ايضا، شعور بأن الحرب كانت وشيكة. «وفي ١٥ تشرين الأول (اكتوبر)، أعلن أن هناك مجموعة من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ فارس ومئة رجل يمتطون الجمال، بالقرب من المدينة، حيث لوحظ كثير من الهيجان. وأرسلت كتيبة لتفريق المجموعة المشار

إليها. ولكن عددا من الدروز المسلحين تسلل، خلال هذه الفترة، إلى الحيين الجنوبيين (الميدان والشاغور) حيث يقطن القسم الأكثر فقرا والأكثر شغبا من السكان»(٤٣).

وانتشر عندئذ نبأ مفاده أن السلطات عازمة على قصف هذين الحيين لوضع حد لأعمال الثائرين الذين يتنقلون فيهما بحرية وبتواطؤ من السكان. وساد المدينة بعض الهلع. وتوجهت العائلات القادرة نحو بيروت. وصدر بيان رسمي ـ وهو أمر مستغرب ـ نفى النبأ وحاول منع النزوح. ولكن ما حل بحماة جعل الوجهاء يرتابون، فقام وفد منهم يطلب من رئيس الدولة، صبحي بك بركات، التدخل لدى السلطات العسكرية بغية الحيلولة دون قصف دمشق، وصد هجمات المسلحين خارج المدينة نفسها. ووعد الرئيس بركات، الذي كدرت تجاوزات الجند المساعدين في القرى المحتلة علاقاته بدولة الانتداب، على ما يبدو، بأن يعمل اللازم. وقيل أنه ألمح ـ ولكنها بادرة غير مؤكدة ـ إلى وجود معارضة شديدة تحاول التحريض على استدعاء الجنرال (ساراي) بكل الوسائل، ولو تم ذلك بتكرار مأساة حماة على نطاق أوسع.

وتشكل وفد، بالاتفاق مع رئيس الدولة، لمقابلة المفوض السامي، الذي كان آنئذ في دمشق، ومطالبته بالحفاظ على المدينة في حال حدوث اضطرابات. ولكن الأوان كان قد فات، لأن أحداث اليوم التالي أتت تتسبب في حدوث ما لا سبيل إلى إصلاحه(٤٤).

فحوالي العاشرة من صباح الأحد في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر)، حصلت مشاجرة بين الجركس في فندق في سوق الخيل، وأصابت رصاصاتهم الطائشة بعض المارة. وأعقب ذلك هلع أقفلت المحلات على أثره، وتجمع السكان في منازلهم، وظهرت في جادة جمال باشا سيارات مصفحة. وجاب المدينة فارسان مجهولان يصرخان: «وصل الجند»، ثم انسحبا. ولم يعد، بعد ذلك، يسمع أو يرى شيء(٤٥). وهبت زوبعة، وغطت دمشق سحابة من الغبار. وأقفرت الشوارع.

وحوالى الرابعة مساء، لعلع صوت رصاص



□ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، القائد السياسي للحركة السورية.

قوي، مصدره، كما بدا، الأحياء الجنوبية للمدينة.

وظهر ثوار في باب الجابية، فهاجمتهم القوات السورية التي نقلت إلى جادة جمال باشا، وفرقتهم في بضع دقائق. وانسحبت فورا جماعة نسيب بكري التي كانت قد وصلت إلى حي الميدان(٤٦).

حينئذ ظهر حسن خراط فجأة في حي الشاغور واتجه نحو قصر العظم، مقر المفوض السامي، معتقدا أن بوسعه أسر هذا الأخير. ولكن الجنرال (ساراي) كان، في هذه اللحظة العصيبة، في القطار عائدا من أزرع إلى دمشق التي وصلها حوالى السادسة وتوجه مباشرة إلى مرتفعات الصالحية المحصنة. ولولا غيابه في ذلك اليوم لأسرته جماعة خراط بسهولة.

ومن هذه الناحية، وفي حين أن أية مقاومة لم تحاول عرقلة مسيرة الثوار، فان الدرك السوري، المدعوم بدبابة واحدة فقط، والموجود في حي الدرويشية، على بعد كيلومترات من قصر

العظم، استطاع دحر جماعات أخرى وإجبارها على الفرار.

وخارج نطاق هذا الموقع حيث جرت محاولة للرد، بالاضافة إلى ما حدث في جادة جمال باشا، فقد سادت في كل مكان لا مبالاة، بدت أنها مصطنعة، سهلت اقتراب المجاهدين[٤٧].

وفجأة، ووسط البلبلة العامة، ودون إنذار مسبق، وبلا أي إخطار، وسواء أكان الدافع في النهاية إنجاز خطة موضوعة سلفا أم اليأس من الوضع، فقد دوت المدافع حوالى الخامسة من مساء الأحد في ١٨/١٠/١٩٢٥. ومن المواقع المحصنة في حي الصالحية في الشمال، المحاط بالأسلاك الشائكة والمتاريس، تساقطت القذائف، دون انقطاع، على بقية المدينة، وبشكل خاص على الأحياء الجنوبية: الشاغور والميدان والدرويشية. غير أن الثوار كانوا قد غادروا المدينة مع اطلاق القذائف الأولى للمدفعية.

ولم تصمت مدافع الحصون إلا في الليل. أما أزيز القذائف المنطلقة من الدبابات فاستمر حتى الصباح.

غير أن مدافع القلعة الواقعة في قلب المدينة عاودت، فجر الاثنين، إكمال المجزرة، فانهارت المنازل والقصور القديمة والآثار على سكانها. وكانت الأوساط المكتظة بالأهالي، والأحياء التجارية في المدينة، هي المقصودة: بصورة خاصة. واستمر هذا الجحيم، حسب أقوال السكان، حتى الثلاثاء في ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر)، ولم يتوقف إلا قبيل الظهر[٤٨].

وفي صباح ذلك اليوم، جابت الحي دبابات الاقتحام، مطلقة النار يمنة ويسرة، وناشرة الموت والارهاب. وفي نفس الوقت، كان يتم القبض على كل مارّ يصادف في زوايا حي الصالحية، سواء أكان هاربا أم ثائرا، ويقاد إلى حديقة الكركي ويعدم على الفور بطلقة مسدس[٤٩].

وحوالى الساعة العاشرة، التمس وفد من الوجهاء من الجنرال غاملان (Gamelin) إيقاف القصف، فأجاب ـ والواقعة رواها الوفد نفسه ـ بأنه لن يأمر به إلا بعد تحقيق الخطة المرسومة التي تقضي بقصف دمشق حتى الظهر[٥٠].

وفرض الجنرال، في نفس الوقت، على المدينة تعويضا مقداره مئة ألف ليرة ذهبا، وتسليم ثلاثة آلاف بندقية بذخائرها. وقبلت الشروط فورا. وبعد نصف ساعة توقفت المجزرة. وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف. وكان القصف قد دام ٤٨ ساعة[٥١].

وأنجز الجنرال، خلال نهارين وليلتين، مهمة تدميرية مشؤومة، وحصد أناسا، دون تمييز من حيث العمر والجنس. لقد فاجأهم الموت في مآويهم التي تقوقعوا فيها من شدة الفزع، وباغتتهم القذائف دون إنذار مسبق. وعندما أصبح الفرار مستحيلا، تحت نيران المدفعية والرصاص، المتزامنة والمتقاطعة، سقطوا بغزارة ضحية أشنع مجزرة عرفها تاريخهم المعاصر.

وجاء الحريق الذي سببته، بلا شك، القنابل المحرقة والقذائف الصاروخية، الموجهة إلى أكواخ الأحياء الفقيرة، يكمل عملية الموت التي أنجزتها المدفعية الفرنسية. لقد دمرت أسواق بكاملها، ودفنت تحت أنقاضها جثث سكانها المفحمة[٥٢].

ومن العسير إحصاء الخسائر في الأرواح والأملاك، فلم يجر يوماً إحصاء للجثث. ولكن الرأي العام يقدرها بعدة مئات. أما الخسائر المادية فانها فادحة. وكان يكفي، خلال سنوات، القيام بجولة بسيطة في الأحياء المتضررة لادراك مدى الدمار الحاصل. وقد أعلن الجنرال (ساراي) في لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب أن «ثلاثمئة منزل من اللبن قد انهارت أرضا في حي الشاغور وحي الميدان». وهذا الرقم ضخم إذا فكرنا في أن ثلاثمئة مأوى مدمر تمثل، على أقل تقدير، ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ شخص دون مأوى[٥٣].

غير أن هذه الأحياء، التي وجهت إليها تهم كثيرة ودمرت كليا تقريبا، ليست هي الوحيدة التي تضررت، فهناك أحياء تجارية في وسط المدينة، كسوق مدحت باشا، وباب الجابية، وباب السروجة، والقنوات، وباب البريد ، وأعمدة بأكملها، كانت فريسة اللهب والقذائف، وانهارت أرضاً. وهي تثبت، لأكثر العيون غشاوة، مقدار الخراب الذي أحدثه القصف. إنها وقائع فاضحة عجزت الادعاءات الرسمية عن إنكارها.

ومع هذا فلم يكن هناك أية ضرورة حربية تبرر مثل هذه الوحشية[٥٤]. لقد اعتبروا أن الدافع إليها هو الصعوبة، التي كانت تمثلها حرب الشوارع، في مقاومة عدو كثير العدد كان يجب القضاء عليه لتجنب مجزرة يذهب ضحيتها المسيحيون والاوروبيون الموجودون داخل المنطقة المجتاحة[٥٥].

لقد استطاعت جماعات من زهاء مئة رجل التسلل إلى المدينة. وسهل السكان عملية تقدمها. وكان ذلك يمثل كل أفراد التظاهرة، وهو عدد ضئيل إذا ما قيس بعدد الذين يبثون الفوضى في المدن الأوروبية. وأعلنت البيانات الرسمية أن هذه الجماعات تسللت منذ الصباح إلى المدينة. ونحن نعجب، في هذه الحالة، لعدم تعرضها، حتى المساء، لأية مقاومة، باستثناء المجابهة التي تلقتها من بعض الدرك السوري في جادة جمال باشا وحي الدرويشية.

وكان ضيق الشوارع يمثل، على الأصح، عاملا ملائما للقوات النظامية. فالأحياء القديمة، التي كانت مشتل التظاهرة، محاطة بمسالك عريضة من الشوارع والجادات التي شقت حديثا. وكان يكفي، للتغلب على الثوار، سد منافذها ومحاصرة جوانبها.

وبالاضافة إلى ذلك، فالاضطرابات كان يمكن تلافيها فيما لو اتخذت التدابير اللازمة. فقد علمت القيادة العليا، منذ ٢٤ آب (أغسطس)، بهجمات الجماعات على دمشق، التي تكررت أكثر من مرة، وكان بمقدورها تجنب عودة هذه الهجمات وانقاذ المدينة من النكبة والخراب. وساد المدينة، ما بين ١٥ و ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) جو من الترقب. وما زال السكان يتذكرون تلك اللحظات التي كان القلق فيها يتفاقم ساعة بعد ساعة، والهواجس تهصر القلوب، وكل شيء ينبه السلطة إلى الكارثة الوشيكة. ولكن السلطة لم تقم بشيء، أو أنها لم ترغب في القيام بشيء. لقد كانت هناك خطة مرسومة. وكان تدمير جزء من المدينة (الشاغور والميدان اللذين يمثلان في دمشق ضاحية شبيهة بضاحية سانت انطوان في باريس) أمراً متوقعاً.

أما الحجة التقليدية فكانت: التذرع بمقتل بعض الأرمن، مساء ١٨ تشرين الأول (اكتوبر)، لاتهام الثورة بمتابعة إبادة المسيحيين والاوروبيين. وكان من السهل تنفيذ هذا المخطط غير المقبول لو كانت تلك هي نية الثوار. فخلال القصف كان حي باب توما، حيث كان يتجمع العنصر المسيحي، وسيبقى، خلال الأيام المقبلة، خالياً كليا من الجند. وكل من يعرف تنظيم المدينة يدرك أن الحي المسيحي كان من الأحياء المعرضة أكثر من غيرها لرصاص الجماعات المسلحة. وخلال فترة الثورة كلها، لم يُنكل بأي مسيحي، ولم يُنهب أي بيت مسيحي. وكان من الواضح أن الثوار قد تعمدوا عدم إثارة القلق في نفوس المسيحيين، في الوقت الذي لم يتوانوا فيه عن النهب والتخريب في الأحياء الاسلامية عندما كان يدفعهم إلى ذلك ثأر شخصي أو حدة المعركة.

وبالاضافة إلى كل ذلك فهناك رد رسمي، ذو أهمية كبرى، على كل الاتهامات التي وجهت إلى الجماعات المسلحة، وعلى كل المبررات التي أعطيت للقصف. إنه احتجاج السلك القنصلي في دمشق، الذي رفعه عميده، في ٢١/١٠/١٩٢٥، غداة المأساة، إلى مندوب المفوض السامي. وهذا هو نصه الكامل:

«السيد المندوب،

«كلفني السلك القنصلي أن أنقل إليكم المعلومات التالية عن أحداث دمشق.

«إن سلطات الانتداب، بالتبليغات الشفهية والمكتوبة، الموجهة، في عدة مناسبات، إلى القناصل، وبالبلاغات المنشورة التي أعلنت استتباب الهدوء التام في دمشق، قد تعهدت للأجانب بضمان سلامتهم في هذه المدينة. وعلى أثر هذه التعهدات الرسمية الصادرة عن السلطة التي تعتبرها عصبة الأمم والحكومة الأميركية مسؤولة، لم ينصح القناصل، رغم قلقهم، رعاياهم بمغادرة المدينة.

«ومن ١٨ إلى ٢٠ من الشهر الجاري، وعلى أثر غارة قامت بها **جماعة ضئيلة العدد تساعدها عناصر قليلة من السكان، ارتأت سلطات الانتداب، دون توجيه أي إخطار إلى الأجانب لتمكينهم من حماية أنفسهم، سحب فرقتها العسكرية من المدينة تاركة، دون حماية، الأجانب، بمن فيهم النساء والأطفال،**



□ كابتن كاربيه: احد الأسباب الرئيسية لاندلاع الثورة السورية.

وكذلك السكان المسيحيين والاسرائيليين من أهل البلد.

«وأخضعت المدينة، في نفس الوقت، ودون توجيه **أي إخطار، لقصف طويل وشامل** لا تتعرض له عادة إلا الأماكن الحصينة. وتركت الأجانب تحت وطأة هذا القصف، في الوقت الذي ابعد فيه الفرنسيون عن الخطر. وبسبب صعوبة التنقل، لم تحص، بعد، الخسائر في الأرواح والماديات، ولكنه علم أن عدة منازل أجنبية قد تضررت وعدة أجانب قد قتلوا بالقذائف الفرنسية.

«ونظرا للظروف المذكورة، فان السلك القنصلي ملزم باعتبار السلطات الفرنسية مسؤولة عن الأملاك والأرواح الأجنبية التي فقدت خلال الأحداث الراهنة.

«وبما أن الضمانات المشار إليها في بداية هذه المذكرة لم تتحقق، ونظرا لتصرف الفرق الفرنسية المذكور أعلاه، فانه لم يعد بامكان السلك القنصلي أن يتحمل مسؤولية نصح رعاياه **بالاعتماد على حماية سلطات الانتداب**. إنه ينصح رعاياه إذن بمغادرة دمشق، ويسأل السلطات الفرنسية أن تتفضل بوضع وسائل نقل مضمونة وكافية تحت تصرف الأجانب الراغبين في العمل بهذه النصيحة.

«ومع ذلك، فمن المؤكد أن هناك عددا من الأجانب لا يستطيع مغادرة دمشق.

«ومن واجب دولة الانتداب أن تؤمن لهم حماية ملائمة بواسطة قوات كافية وأن لا تعرضهم لأخطار القصف. فالسلك القنصلي ملزم إذن **باعتبار سلطة الانتداب مسؤولة عن الأرواح والأملاك في دمشق**.

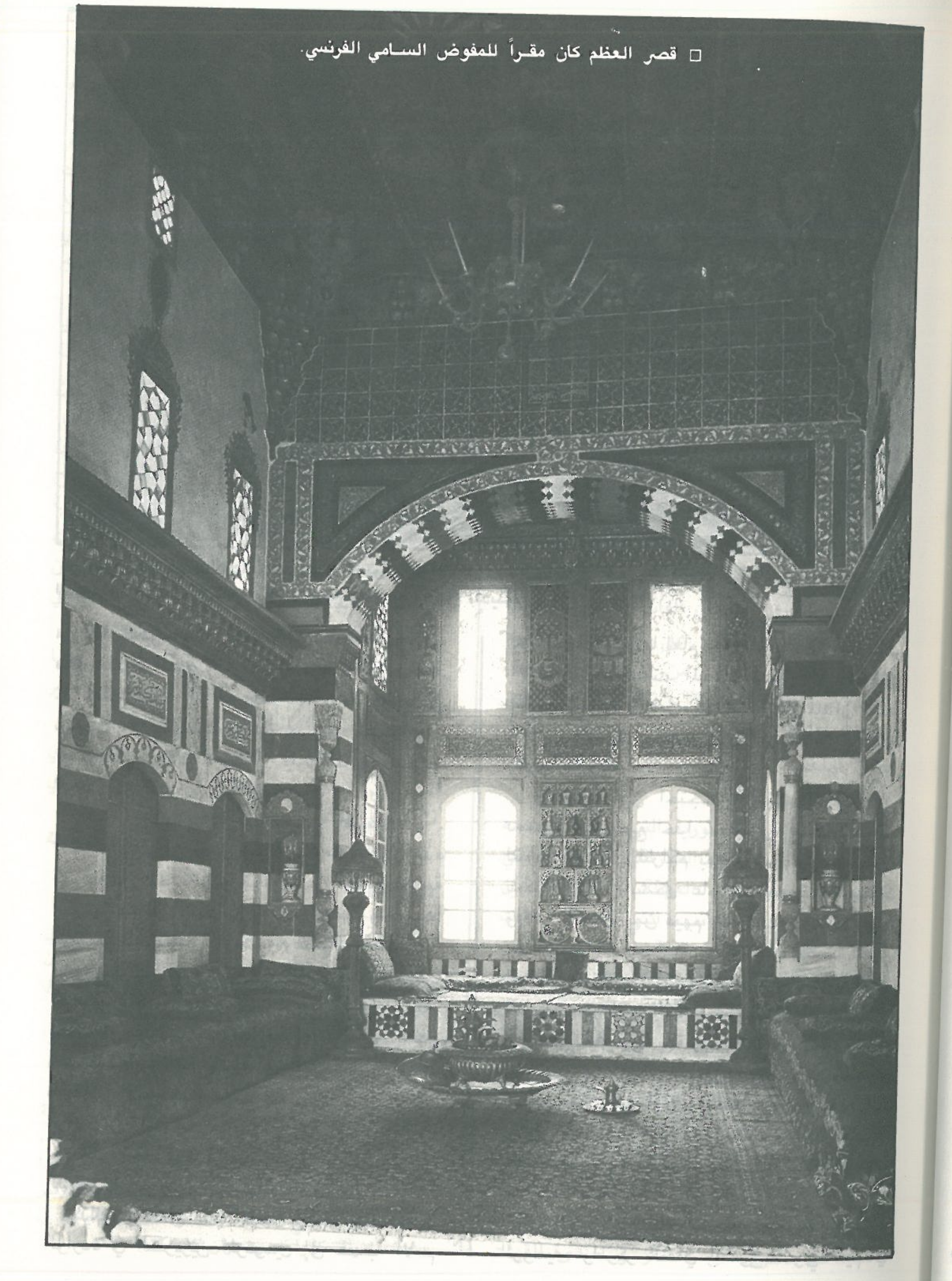
«وبهذه المناسبة، فان السلك القنصلي يأمل في أن يتم تأمين حماية العاصمة السورية في المستقبل، **على جبهة عسكرية، خارج المدينة**.

«ومن الواضح، في غياب مثل هذه **الحماية الخارجية**، ألا يكون هناك ما يحول دون دخول جماعات أخرى مسلحة إلى المدينة التي ستصبح، مجددا، مسرحا للعمليات العسكرية يعاني منها الأجانب الذين أقاموا في المدينة واثقين بالحماية الفرنسية.

«ومن الملاحظ أن الخسائر التي سببها القصف والحرائق في الأوساط التجارية الرئيسية في المدينة سيكون لها انعكاسات على المؤسسات الاوروبية والأميركية التي تتعامل تجاريا مع التجار المتضررين من هذا الخراب. ومن جهة أخرى، فمما لاشك فيه أن هناك، في المحلات المدمرة، بضائع يملكها أوروبيون وأميركيون.

«لقد سرت إشاعات مفادها أن السلطات الفرنسية تنوي، في ظروف ما، **معاودة قصف المدينة**. ومثل هذا القصف سيتسبب حتما في خسارة أرواح وممتلكات أجنبية أخرى.

«ان السلك القنصلي، إذ تحدوه مشاعر إنسانية عامة وشعور خاص بوجوب الاهتمام برعاياه، لا يسعه إلا أن يعرب عن أمله في إمكان تحاشي مثل هذا القصف وفي إمكان إخضاع أعمال القمع، إن غدت ضرورية، **للمناهج الأكثر استعمالا في حالات الفوضى في المدن، والأكثر ملاءمة لمعاقبة المذنبين دون إصابة الأبرياء، بمن فيهم النساء والأطفال**. والسلك القنصلي لا يعتقد أن بوسعه إسكات هذا الانفعال الانساني لأن **سكان دمشق المسلمين بشكل عام**، مهما تكن شرور بعض العناصر، **قد حموا المسيحيين والاسرائيليين، بمن فيهم الأجانب،**



□ قصر العظم كان مقراً للمفوض السامي الفرنسي.



□ جنرال غاملان (Gamelin) بصحبة الجنرال ساراي في دمشق، والذي أصر على قصف دمشق من الصباح حتى الظهر، بالرغم من الالتباس الذي قدمه وفد من وجهاء المدينة.

برعاية كبيرة جدا حينما لم يعد بمقدورهم، بعد سحب الفرق الفرنسية، ترقب أية حماية.

«إنني مكلف أن أحيطكم علما بأنني وزملائي سنبعث إلى حكوماتنا بنسخ عن هذه المذكرة.

«وأغتنم هذه الفرصة، يا سيدي المندوب، لأجدد لكم تقديري البالغ.

الامضاء: عميد السلك القنصلي»(٥٦).

من النادر أن تصل وثيقة دبلوماسية إلى هذه الدرجة من الحدة. إنها تحتوي على حقائق قاسية أنكرتها سلطة الانتداب في تصريحاتها وتقاريرها الرسمية للصحافة الفرنسية وعصبة الأمم.

ومن المتفق عليه اليوم أنه كان بالامكان تجنب القصف بتكوين «جبهة عسكرية» خارج المدينة.

«على أثر غارة قامت بها جماعة ضئيلة العدد تساعدها عناصر قليلة من السكان، ارتأت سلطات الانتداب، دون أي إخطار... سحب فرقها من المدينة تاركة، دون أية حماية، الأجانب، بمن فيهم النساء والأطفال، وكذلك السكان المسيحيين والاسرائيليين».

كذلك، وبعكس الادعاءات اللاحقة والتأكيدات الواردة في التقريرين المرفوعين إلى عصبة الأمم عن أحداث سوريا لعام ١٩٢٥(٥٧)، فان سلطات الانتداب «أخضعت المدينة، دون أي إخطار، لقصف طويل وشامل». والشاغور والميدان ليسا الحيين الوحيدين اللذين دمرا، فالمدينة بأكملها تقريبا قد هدمت.

وأخيراً، فإن احتجاج السلك القنصلي في دمشق قد وضع حدا لأسطورة مقيتة أذيعت لتبرير الخراب المتراكم بمفعول رجعي: «... إن سكان دمشق بشكل عام قد حموا المسيحيين والاسرائيليين، بمن فيهم الأجانب، برعاية كبيرة جدا حينما لم يعد بمقدورهم، بعد سحب الفرق الفرنسية، ترقب أية حماية». وبفضل هذا النص التاريخي تم الاعتراف بفضل ثوار عام ١٩٢٥.

ونحن ملزمون بالقبول — لأننا لا نستطيع التهرب من ذلك — بأن النقص في القوى العسكرية، والبلبلة في قيادة الأركان، وإرادة بعض عناصر الجيش في انهاء مشكلة المدينة المضطربة، هي وحدها التي أدت إلى قصف العاصمة السورية. وكان لمصيبة دمشق، قلب العالم العربي ودماغه، واحدى عواصم الاسلام الروحية، والمركز الثقافي للشرق، دوي أليم في

نفوس العديد من الناس. وقد أثار النبأ، حسب المستويات والعروق، الاستنكار أو الحقد أو الذعر.

ولوحظ، في الأيام التالية، تصاعد في الثورة. وكان من نتائج التدمير الذي أحدثه القصف، وأعمال القمع المنفردة التي أعقبته، ان انضم إلى صفوف الثوار في الغوطة جميع هؤلاء الذين تركتهم القذائف بلا مأوى أو مقر. وجاءت تعزز صفوفهم مجموعات من الشباب متحدرة من طبقات رفيعة من السكان.

ولم تلبث الغوطة أن أصبحت معسكر الثوار الحر على الاطلاق. وانتهزت لجنة قيادة الثورة فرصة عجز الجيش النظامي الواضح عن البقاء فيها، فنزلت من جبل الدروز ونظمت نفسها فيها، في حمى الجداول المتعددة التي تخترق البساتين الكثيفة والتلال الجبلية في تلك المنطقة المثالية. وأدخلت عدة تعديلات على الحكومة المؤقتة التي تكونت سابقا في السويداء. وكان الدكتور شهبندر يتولى رئاستها بمساعدة مجلس من القادة العسكريين. وبقي سلطان القائد الأعلى لجماعات الأنصار. وكان يشرف على تحركاتها ويلهم أعمالها بمقدار مناسب من المرونة والشدة.

وجاءت «محكمة الاستقلال» تكمل النظام، وهي محكمة مماثلة لجميع المحاكم الثورية التي تتكون بفعل الحاجة، فتحاكم بسرعة وتهتم بالجرائم السياسية بوجه خاص.

وحاولت الثورة السورية التي بنيت على هذه الأسس أن تعيش من الضرائب البسيطة التي كانت تجمع من قرى الغوطة أو من الأماكن المحتلة. ولكن الضرائب، التي تحملت نفقات الجند خلال الأشهر السابقة، لم تتمكن إلا من سد قسم يسير من حاجات المسلحين. فالقسم الأوفر من إعاناتهم كان يأتي، بشكل خاص، من المبالغ التي كانت تجمع من الأوساط العربية في مصر وفلسطين والعراق، ولاسيما من الأميركيتين(٥٨). وقد لاقت الحركة السورية، في هذه الأقطار، منذ الساعة الأولى لانطلاقها، تعاطفا متصاعدا بلغ ذروة الهيجان بعد نكبة دمشق.

وبفضل هذا المصدر الذي لن ينضب أبدا استطاعت الثورة أن تستمر وتتصدى للقوات التي كانت تعززها يوميا دولة الانتداب، المصممة على تجاهل الاضطرابات الأكيدة التي كانت، بالأساليب التعسفية المستعملة، تنعكس على فرنسا نفسها.

ولحماية دمشق أخيراً من الغارات الجديدة، أحاطتها سلطات الانتداب، من جهتها، بالأسلاك الشائكة والمتاريس، وعززت بعض المواقع الاستراتيجية، وأعلنت الأحكام العرفية التي كانت قائمة بالفعل منذ أسابيع، وراقبت السير داخل المدينة وخارجها.

وكان لدمشق، التي كانت تغادرها يوميا عائلات كاملة بمجموعات متراصة، مظهر المنطقة القفراء التي تتعرض جوانبها دون انقطاع لهجمات غاضبة من قبل أعداء لدودين حقودين.

وخلال أسابيع، وليل نهار، عاش السكان المساكين الذين ظلوا في المدينة على دوي السلاح المصم، لا يرون إلا تحركات فرق عسكرية ساخطة ومواكب من الأموات والجرحى. وانعزلت العاصمة القديمة عن بقية البلد. ولم يكن بالامكان المجازفة بالخروج إلى الخارج إلا في حماية الطائرات والسيارات المجهزة بالرشاشات. وحتى القطارات المصفحة التي كانت تتوقف غالبا في وسط الطريق لم تعد تعمل إلا بشكل غير منتظم لتؤمن اتصالا، عسكريا فقط، ببيروت.

ومن ناحية الشرق توقف التغلغل الحضاري للشركات العاملة عبر الصحراء، وأصبح البدوي من جديد ملكا في البلاد الواسعة.

للبحث صلة

الهوامش

(٣١) تقرير عام ١٩٢٥، ص ٢٨. راجع تفاصيل عصيان حماة في التقرير، رقم ٢، المقدم إلى عصبة الأمم من قبل وفد لجنة القاهرة السورية — الفلسطينية، في جنيف.

(٣٢) لقد أكد الثوار دوما أن المحاصرين قد أشعلوا الحريق لايقاف تقدمهم (تقرير عام ١٩٢٥، ص ٢٩).

(٣٣) التقرير، رقم (٢)، للجنة السورية — الفلسطينية يقدر، دون تعداد الجرحى، عدد الأموات بـ ٣٤٤، والخسائر بـ ١١١ مخزنا و١٧ منزلا، مهدما أو محروقا. وهذا التقرير، على غرار التقارير الأخرى التي أعقبته، وضعه أشخاص يقيمون في المدينة، كانوا شهود عيان للأحداث.

(٣٤) ولنذكر أيضا، على سبيل التوثيق، احتجاج نساء حماة، في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٥، لدى دو جوفنال (M. de Jouvenel)، المفوض السامي، عند مروره بحماة. لقد قلن له: «إن البلد لم يرتكب الأخطاء التي تستحق هذه العقوبات القاسية التي لم يدون التاريخ مثيلا لها في سجلات العصور الأولى. إننا نعرض عليكم جزءاً من الآلام التي قاستها حماة... ان السلطات العسكرية أجازت لجنود الجيش أن يقتلوا وينهبوا... وأطلق الجنود العنان لغرائزهم. وكانوا، إذا صادفوا أحدا قرب نافذته أو مارا في طريقهم، من أي جنس كان، يقتلونه دون رحمة... وكل ما ذكرناه، يا حضرة المفوض السامي... لا يعد شيئا إذا ما قارناه بحالة الأطفال والهلع الذي يتملكهم في كل لحظة. ويكاد هؤلاء الأبرياء الصغار يموتون من الفزع بسبب دوي القنابل، وبسبب القصف الذي كان يمطر المدينة، دون إنذار، بالشظايا ويحصد أرواح السكان المساكين لأنهم لم يسلموا كمية البنادق التي طلبتها السلطات العسكرية...» [**الأحد الجديد**، وهي صحيفة بيروتية، في ١٩٢٥/١٢/١٩].

(٣٥) تقرير عام ١٩٢٥، ص ١٩.

(٣٦) وقد سردت تفاصيل الحادثة في تقرير غير منشور، وتحت عنوان: **أسباب الأحداث المشؤومة في دمشق وجبل الدروز**، رفعه إلى الحكومة الفرنسية جميل بك الألشي، وهو رئيس سابق لمجلس الوزراء (عام ١٩٢٠)، وضابط سابق في قيادة أركان الجيش العثماني، ووزير سابق للمالية في حكومة الشيخ تاج...

(٣٧) جاء في تقرير الرئيس الألشي، ص ١٢، ما يلي: «إن عملية ترك جبل الدروز لمصيره قد عززت كثيرا وضع الجماعات المسلحة في ضواحي دمشق، وكانت السبب في امتداد الثورة إلى عدة أماكن».

(٣٨) تقرير الألشي، ص ٤.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٤.

(٤٠) «كان وجهاء دمشق يشاهدون جيادهم وأبقارهم تباع بالمزاد العلني دون التجرؤ على المطالبة باسترجاعها من أصحابها، خوفا من التعرض للاهانة من قبل أناس غير مسؤولين، ولأن السلطات كانت تقول: هذه الأملاك هي لآخر المالكين، ونحن الذين سمحنا لهم بامتلاكها [المرجع السابق، ص ٥].

«في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) أحرقت، بتدبير انتقامي، قرى جرمانا وكفربطنا ويام ومليحة ويسري. ووجهت إلى سكانها تهمة ايواء قطاع الطرق. والحقيقة أن وضع هؤلاء المساكين كان رهيباً، فهم كانوا معرضين إما للحرق والذبح من قبل قطاع الطرق ان رفضوا، وأما للذبح والعقاب من قبل الفرنسيين إن فعلوا...» [راجع الخبر الذي نشره أحد المقيمين المعروفين في دمشق، في مجلة (Phénix)، عدد ٧، تاريخ ١٩٢٦/١/٧. ومن المستحسن قراءة بقية الخبر الذي تضمن ملاحظات، سجلت ساعة بساعة، تسرد مراحل «آلام» دمشق حتى ٢١ تشرين الأول (اكتوبر)].

«كانت جماعات تخلع الأبواب وتقتحم البيوت. وكان بامكانك متابعة تقدمها من صوت تحطيم الزجاج والأواني والأثاث المهشم. وكان أفراد الفرقة الأجنبية ينهبون القرية الغنية... وعندما ينقلب كل شيء رأسا على عقب، يخرجون محملين بالأقمشة، وقوارير العسل الكبير، وخبز الزبيب الجاف. وكانوا ينقلون المجوهرات والدمى وساعات اليد والحائط. ويعلم الله ماذا...» [راجع كتاب دوتي (Doty): (La Légion des Damnés)، باريس ١٩٢٩، ص ١٥٣].

(٤١) كان الجركس يختارون محليا من منطقة القنيطرة على الأخص، التي أقاموا فيها برعاية السلطان عبد الحميد، أو بسبب سياسته الحذرة، بعد عام ١٨٧٨، عندما اضطروا إلى الرحيل عن منطقة قارص التي ضمها الروس إلى أراضيهم. أما بالنسبة إلى الأرمن الذين لاقوا، أثناء الحرب وبعدها، ترحيبا، متعاطفا على الأغلب، من عرب سوريا، وعلى الأخص من عرب حلب حيث تقوم تجمعاتهم الكثيفة، فقد انخرطوا في الفرق المساعدة تلبية لطلب دولة الانتداب.

(٤٢) تقرير الألشي، ص ٥.

(٤٣) تقرير عام ١٩٢٥، المذكور، ص ٣١.

(٤٤) تقرير الألشي، ص ٦.

(٤٥) المرجع السابق، ص ٦ ــ ٧.

(٤٦) لقد حدث صدام، في المعسكر الأرمني الذي ترك بلا حماية، بين الأرمن والثوار، فقد اقتحمت الجماعات المسلحة التي أثارتها وحشية المساعدين الأرمن أولى منازلهم، انتقاما منهم، وردا على بعض الرصاصات التي أطلقت من المعسكر نفسه وعرقلت مسيرتهم. وسقط رجال من الطرفين، وحمل الثوار، حسب عاداتهم، موتاهم، ولكن الأرمن، أثناء تقهقرهم، خلفوا موتاهم هناك. ووصفت هذه المعركة، فيما بعد، بالمجزرة، وأريد اعتبارها، بنية مبيتة، كمقدمة للابادة العامة للأرمن. وإذا كان الدم الأرمني قد سال هذه المرة «فان مسؤوليته تقع على عاتق هؤلاء الذين أدخلوا أرمن حلب في صفوف المجموعة الجركسية. وكان مما حرض الثوار على هؤلاء المساكين ذلك التصريح الذي أدلى به (ساراي) لوجيه من وجهاء دمشق طالبه بالتدخل لاحلال سلام مشرف مع الدروز: «سأبيد سكان جبل الدروز وأستبدل الأرمن بهم» [تقرير الألشي، ص ٥].

(٤٧) «ان الدرك المحلي الذي تصرف أولا، في بداية شهر آب (أغسطس)، بشكل لائق، سرعان ما تخلى عن التزاماته وراح يسهم، علانية، في مساعدة الثوار...» [تقرير عام ١٩٢٥، ص ٣١]. ان الفرق السورية كانت، مع ذلك وكما رأينا، الوحيدة التي دربت، منذ بداية الحركة، على حرب الشوارع التي كانت، على صعوبتها، دائما محتملة. ولكن القصف الذي بدأ بغتة كشف عن عزلتها وألقى بها في أحضان اليأس الذي سيطر، على ما يظهر، على القيادة. وفي هذه الفترة استسلمت.

(٤٨) تقرير الألشي، ص ٧. ان التقارير العديدة التي كانت اللجنة السورية ــ الفلسطينية في القاهرة تتلقاها من مراسليها المحليين لترفعها إلى عصبة الأمم تتضمن تفاصيل مسهبة عن هذه الأحداث المشؤومة، لا تختلف بشكل عام عن العرض الذي ورد في تقرير الرئيس الالشي. وقد أحجمنا عن اقتباس مراجعنا منها لئلا نتهم بالمبالغة.

(٤٩) أصبح هذا الأسلوب شائعا. «... عندما يمسك الفرسان (السباهيون)، صدفة، بمواطن مسلح، يلصقونه بالجدار ويعدمونه... وفي الطريق نهبت احدى القرى وأحرقت. والجركس المتوحشون الذين يتحملون المسؤولية عنا لا يخضعون لأية مراقبة. إننا نسمع من بعيد صراخ النساء، وهذا ليس بالأمر الجميل...» [Doty، المرجع المذكور، ص ١٦٢]. حول التنكيل بدمشق راجع على الأخص كتاب:

Alice Poulleau, Damas sous les Bombes, Paris, 1930.

(٥٠) تقرير الألشي، ص ٩.

(٥١) صحيفة (Le Temps) في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر): ولكن «الجنرال (ساراي) يعترف في تقريره أن القصف دام يوما ونصف اليوم» (هذا ما قاله (Buré) في مجلس النواب الفرنسي في ١٩٢٥/١/١٨).

(٥٢) يتهم تقرير عام ١٩٢٥، على طريقته، الثوار باشعال الحريق عمدا (ص ٣٣). ويكفي، لاثبات بطلان هذا الزعم، أن نفكر في أن معظم الثوار كانوا مكونين من العنصر الحضري، فبكري وخراط... ورجالهم هم من دمشق وكانت عائلاتهم في المدينة لدى هجومهم.

(٥٣) كان هناك ما يناهز الألف قتيل وجريح، حسب مجلة (L'Asie Française)، عدد أكتوبر ١٩٢٥، ص ٣٢٣. وقيمة الخسائر المادية، حسب R. de Caix) مندوب فرنسا لدى اللجنة الدائمة للانتدابات، ترتفع إلى ١٨٢,٠٠٠ ليرة ذهبا للأملاك المحروقة، و ٢٣٦,٠٠٠ للأملاك المنهوبة. ولكن جميل بك الألشي، في تقريره المذكور، يقدر الخسائر المادية بمليون ليرة استرلينية (ذهب).

(٥٤) إن قصف مدينة مفتوحة، ليست في حالة حرب مع السلطة العسكرية، دون إخطار أو إجلاء مسبق، يعتبر خرقا لقانون الأمم.

(٥٥) راجع البيان الصادر عن وزارة الخارجية، في صحيفة (LeTemps)، عدد ١٩٢٥/١١/٥، وشهادة الجنرال (ساراي) التي نقلتها نفس الصحيفة في ١٩ منه.

(٥٦) إن الفقرات المطبوعة بالأسود هي نفس الفقرات التي وضع تحتها خط في النص الأصلي. وقد استطاع كاتبها، في عهد الانتداب، الحصول على نسخة منه بواسطة مستشار فرنسي في المفوضية السامية في بيروت.

(٥٧) التقرير الموقت لعام ١٩٢٥، ص ٢١ وما يليها. وتقرير عام ١٩٢٥، ص ٣١ وما يليها.

(٥٨) ويشكل المسيحيون الغالبية فيهما.



إلى المشتركين الكرام

نرجو من جميع مشتركينا في الخارج، إفادتنا عن أي نقص يحصل لديهم في اعداد المجلة، خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر من تاريخ صدور العدد، وخلال شهرين بالنسبة لمشتركينا في الداخل.

وذلك، لتعذر تأمين الأعداد لهم بعد هذه المدة، بسبب تحويلها إلى قسم التجليد.

الإدارة